الإسلام والمسلمون في الكونغو برازافيل

نبذة تاريخية

ربما كان الجزء الصغير مما يعرف حاليا بالكونغو بعضا من مملكة الكونغو التى ازدهرت خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين.

وفى القرن الخامس عشر الميلادى وصل المستكشفون البرتغاليون إلى ساحل الكونغو وفى الفترة من أواخر القرن الخامس عشر وحتى القرن التاسع عشر، جلب البرتغاليون وبعض التجار الأوروبيين الرقيق والعاج من طول الساحل. وفى أواخر القرن التاسع عشر الميلادى اكتشفت الأراضى الداخلية لما يسمى الآن بالكونغو. إذ وصل مستكشف فرنسى إلى المنطقة فى عام ١٨٧٥م، كما أبحر المستكشف البريطانى المشهور هنرى مورتن ستانلى من منبع نهر الكونغو إلى مصبه عند المحيط فى عام ١٨٧٦ و١٨٧٧م.

وفى عام ١٨٨٠م وقع برازا وماكوكو ملك الباتيكى معاهدة وضعت منطقة شمالى نهر الكونغو (زائير) تحت الحماية الفرنسية، وفى عام ١٩٠٣ م صارت هذه المنطقة التى تسمى الكونغو الوسطى إقليما ضمن أفريقيا الاستوائية الفرنسية. وفى ١٩١٠م ربطت المنطقة بإقليم الجابون، تشاد والأوبانجي- شارى (جمهورية أفريقيا الوسطى حاليا).

والكونغو برازافيل لا يفصل بينها وبين الكونغو زائير إلا النهر. وعبور هذا النهر ممنوع، ومحظور على غير الكونغوليين حتى السفراء. ومن أراد منهم أن يسافر من زائير إلى برازافيل فعليه أن ينتقل بالطائرة. أما الوطنيون من كلا البلدين، فعبورهم سهل ميسور بواسطة البطاقات الشخصية، والبواخر، والعبارات التى تنقل الناس من شاطئ إلى شاطئ، أى من جمهورية إلى جمهورية أخرى ذاهبة وآيبة كل ساعة تقريبا. وتقطع المسافة فى ثلث ساعة تقريبا، بعدها ينتقل المرء من دولة إلى أخرى، وعندما نكبت فرنسا فى الحرب العالمية الثانية بدخول قوات ألمانيا باريس العاصمة، دعت الكونغو برازافيل الجنرال ديجول ليتخذ منها قاعدة للتحرر والانطلاق، وفعلا

القائد الفرنسى شارل ديجول

وصل ديجول إليها، وأقام فيها، ووهبت له حكومتها قصرا مشرفا على نهر الكونغو الكبير، ولا يزال موجودا حتى الآن. وقد أقامت فرنسا تمثالا ضخما أمامه. ولكن الوطنيين بعد الاستقلال حطموا التمثال، ولم تبق إلا قاعدته.

فى عام ١٩٥٨م حصلت الكونغو الوسطى على الحكم الذاتى الداخلى وأصبحت مستقلة فى ١٥ أغسطس ١٩٦٠م. وصار بولوفولوبرت أول رئيس للكونغو ولكن أجبره الجيش والنقابات على الاستقالة فى عام ١٩٦٣م، حيث استولت حكومة اشتراكية على الحكم وأصبح الفونس ماسيمبا ديبات رئيسا. وأممت الحكومة الصناعات واعترفت بالدول الشيوعية مثل الصين، وكوريا الشمالية، وفيتنام الشمالية.

وفى عام ١٩٦٨م أزاح ضباط عسكريون بقيادة الرائد ماريان نجوابى الرئيس - ما سيمبا- ديبات من منصبه. وفى عام ١٩٧٠م أعد دستور جديد للبلاد وأصبحت دولة ذات حزب سياسى واحد، وأعلنت الكونغو جمهورية شعبية وصار نجوابى رئيسا للبلاد.

اغتيل نجوابى فى عام ١٩٧٧م وتولى مجلس عسكرى من أحد عشر عضوا مقاليد الحكم. وعين المجلس العقيد جواكيم يومبى أوبانقوا رئيسا، كما اتهم المجلس الرئيس السابق ماسيمبا ديبات بتدبير اغتيال نجوابى. ومن ثم أدين وأعدم. وفى عام ١٩٧٩م أبطل المجلس العسكرى وحل العقيد دينس ساسو نقويسو محل أوبانقو كرئيس للبلاد.

وبدأت الحكومة فى عام ١٩٨٩م فى تقليل ملكية الدولة للصناعات. وفى عام ١٩٩١م أعلن عن قيام أحزاب سياسية معارضة وعُقد مؤتمر الهيئة التشريعية لإعداد دستور جديد وتقرير إجراء الانتخابات فى ١٩٩٢م. وقد فاز حزب الاتحاد الأفريقى للديمقراطية الاشتراكية بأغلب مقاعد هيئتى البرلمان، وتم انتخاب باسكال ليسوبا من حزب الاتحاد الأفريقى للديمقراطية الاشتراكية رئيسا للبلاد فى نفس العام.

كان لدى الكونغو قديما حكومة جيدة التنظيم. وكان هناك زعيم يتولى حكم كل قرية بالوراثة. وكان يحكم كل منطقة (أى مجموعة من القرى) زعيم يختاره الملك أو حاكم المقاطعة التى تقع فيها المنطقة. وبحلول القرن السادس عشر الميلادى كانت الكونغو مقسمة إلى ست مقاطعات يحكم كلا منها حاكم. وكان الملك الذى يطلق عليه اسم مانى كونغو يتمتع بالسلطة

السياسية والدينية. ولم يكن لديه جيش دائم؛ ولذا فقد لزم أن يكون قوى الشخصية كى يتمكن من المحافظة على تماسك البلد. وكانت عاصمة الكونغو مبانزا بالقرب من مدينة دامبا الحالية فى أنجولا.

الموقع:

هى إحدى البلدان الاستوائية تقع فى وسط القارة الأفريقية، وتبلغ مساحتها (٣٤٢٠٠٠كم٢) وسكانها فى سنة (١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م) حوالى (١,٥٥٠,٨٠٠مليون نسمة) وعاصمة البلاد مدينة برازافيل- والتى توجد على نهر زائير مقابل مدينة كنشاسا- وسكان العاصمة حوالى (٣٠٠ ألف نسمة) ومن أهم المدن: بوانت نوار، وكايس.

خريطة الكونغو

السكان:

ينتمى السكان إلى أربع مجموعات عرقية رئيسية: الكونغوليون، والباتيكا، والمابوشى، وجماعات السنغا. وهناك جماعات مهاجرة من الدول المجاورة، وتزداد كثافة السكان فى القسم الجنوبى من البلاد، ويعيش أكثر من ثلث السكان فى المدن، وخصوصا فى برازافيل العاصمة ومدينة بوانت نوار، ويشكل المسلمون نسبة ٢٠٪ من السكان، ويوجد بها أكثر من ألفين من الأوروبيين، والفرنسية هى لغة البلاد الرسمية.

الألماس - سبب الغزو الأوروبى لأفريقيا

النشاط البشرى:

الزراعة هى حرفة السكان الأساسية، وتنتشر زراعة نخيل الزيت فى الشرق، ويزرع الكاكاو والبن على هوامش الغابات، وإلى جانب الحاصلات السابقة قصب السكر والذرة والأرز، وتوجد ثروة خشبية تأتى من الغابات التى تشغل نصف مساحة البلاد، وتمثل الغلات الزراعية والثروة الخشبية أهم الصادرات، أما الثروة الحيوانية فتتمثل فى أعداد قليلة من الماشية والأغنام والماعز، وبالبلاد ثروة معدنية أبرزها النفط والغاز وكان إنتاجها فى سنة (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م) من النفط ٣,٣ مليون طن ومن الغاز مليون ونصف المليون من الأمتار المكعبة، كما يستخرج النحاس والزنك والرصاص وقليل من الذهب.

خريطة برنو الإسلامية

كيف وصل الإسلام إلى الكونغو برازافيل؟

وصلها الإسلام عن طريق جارتيها الكاميرون والجابون، فلقد وصل الإسلام الكاميرون عن طريق التجار المسلمين أثناء القرن الحادى عشر الهجرى، ثم انتشر الإسلام فى عهد دولة كانم التى امتد نفوذها إلى جنوبى الكاميرون، وتلا ذلك جهود مملكة بورنو، ثم ازداد انتشار الإسلام بجهود الداعية عثمان بن فودى، ولم يعرقل تقدمه إلا ظهور الاستعمار الفرنسى فى المنطقة فى بداية القرن الرابع عشر الهجرى، وهكذا كان تقدم الدعوة الإسلامية فى القسم الشمالى من الكونغو برازافيل.

ووصل الإسلام إلى الكونغو برازافيل عن طريق جارتها الغربية الجابون، وجاء الإسلام إلى الجابون عن طريق الدعاة من المرابطين والموحدين وعن طريق تجار الهوسة والفولانى المسلمين، وكان طبيعيا أن ينتقل الإسلام إلى جنوب غربى الكونغو برازافيل، ولقد أتاح الاستعمار الأوروبى الفرص أمام البعثات التنصيرية، ففتح الباب على مصراعيه أمام نشاطها بالبلاد، بينما عرقل انتشار الدعوة الإسلامية بطرق شتى، ولقد وصلت نسبة المسيحيين إلى ٣٨٪ من السكان وقام العمال المهاجرون من مسلمى غربى أفريقيا بنشر الإسلام بين الكونغوليين فى الآونة الأخيرة، وذلك فى هجرتهم للعمل بها، وعدد المسلمين بالكونغو برازافيل حوالى (٣٢٢ ألف نسمة) ويتجمع المسلمون بمدينة برازافيل، وفى مدينة بوانت نوار، كما ينتشر الإسلام فى شمالى البلاد وغربها.

والمسلمون فى الكونغو برازافيل يتمتعون بكامل حرياتهم، فمساجدهم عامرة بدعوتهم ظاهرة، وتجارتهم حرة، وهم أحرار فى البلاد، حتى غير الكونغوليين من السنغاليين، وأهل مالى، وأهل غينيا وأهل نيجيريا وغيرهم من المقيمين فى الكونغو، للعمل والتجارة، وخاصة تجارة الألماس، والبضائع التجارية الأخرى وهم عدد كبير لا يستهان به.

وفى الكونغو برازافيل العاصمة، أربعة مساجد للمسلمين، والخامس تحت البناء والانتهاء، ولكن المؤسف فى الأمر أنهم مختلفون، حتى أنه لا يصلى بعضهم وراء البعض الآخر أحيانا تبعا لاختلافهم فى المذاهب، حتى أن الكونغوليين الأصليين ويرأسهم الشيخ عبد الله كاى، معه أكثر من خمسمائة مسلم دخلوا الإسلام حديثا، انفصلوا عن الجميع، وبدأوا ببناء مسجد خاص بهم.

ويستطرد الشيخ محمود محمد الصواف فيتحدث عما شاهده فى الكونغو برازافيل قائلا: «زرنا صباحا (٢٠/٦/١٩٧٣) مدرسة الكونغوليين الابتدائية الإسلامية. وقد تجمع فيها كبار المسلمين وسمعت لطلابها وطالباتها، يتلون سورا من كتاب الله، وخاصة قصار السور، ويتعلمون اللغة العربية، لغة القرآن والإسلام بشوق ولهفة مع ضعف إمكانيات المدرسة، وقلة وارداتها إلا مما يدفعه الطلاب المساكين من أجور، وما يتبرع به المحسنون من أهل الخير والمعروف».

ثم زرنا بعد ذلك مدرسة أهل مالى، وهم التجار هنا، والأغنياء بفضل الله، ومدرسة أبنائهم كانت أكثر عددا، وأوفر أساتذة، وإن كانت بنايتها قديمة وضعيفة، ولقد سمعنا أطفالا صغارا فى الروضة يقرأون الفاتحة وبعض قصار السور فسررنا بذلك. وهناك مدرسة ثالثة أسسها شاب مؤمن طيب وهو من أصل مالى ايضا واسمه عبد الوهاب.

وفى الكونغو برازافيل جالية كبيرة من أهل مالى، وكلهم تجار فى مختلف الأعمال وفيهم ـ والحمد لله ـ تقى وصلاح. وقد اعتنق أكثرهم السلفية مذهبا وطريقا. ولكن قسما من إخواننا فى مالى، وقعوا فيما وقع فيه غيرهم من الإفراط والمغالاة، حتى قلل قسم منهم من شأن معتنقى المذاهب الإسلامية الأخرى. وأخذوا لا يصلون وراءهم، ونشأت بينهم وبين المسلمين الآخرين مشاحنات، ومجادلات، وخصومات، وعداوات، وأخذ الناس يطلقون عليهم اسم الوهابيين، ومثل هذه الأحوال يستغلها أعداء الإسلام، يزيدون فى نارها ليفرقوا كلمة المسلمين. وقد بنى أهل مالى مسجدا، وأصبحوا يصلون فيه الأوقات الخمسة والجمعة، وكأنه اختص بهم وانفصلوا به عن بقية المسلمين .

الإسلام فى الكونغو برازافيل:

يعتبر دخول الإسلام إلى الكونغو برازافيل جديدا، إذ لم أعلم فيما اطلعت عليه أن العرب وصلوا إلى هذه المناطق النائية فى قلب أفريقيا، إلا أنهم وصلوا إلى شرقى وشمالى الكونغو زائير، فاستقر الإسلام فى كسينجالى وكوسنكو وكيفو. وهذه المدن تعتبر مدنا إسلامية، ولكنها تبعد عن كينشاسا وبرازافيل ألفى كيلو متر.

والإسلام فى الكونغو اليوم- وبعد الاستقلال- خير منه بالأمس، أيام الاستعمار، إذ كان الاستعمار يعتبر الحجاب الحاجز الذى منع الناس بقوة مكره ودهائه وسلاحه من رؤية نور الإسلام. بل كان الإسلام هو العدو الأول الذى يحاربه الاستعمار، ويحارب أهله أينما كانوا. أما اليوم فقد اعترفت- بفضل الله- الحكومات الوطنية فى هذه البلاد بالإسلام، وسمحت لأهله أن يقوموا بالدعوة إليه، ولهم مطلق الحرية فى ذلك.

وفى الكونغو برازافيل مجموعة طيبة من المسلمين، ويرأس هذه المجموعة ويؤمها ويخطب فيها الشيخ عبد الله كاى. وهم سنة، وفى (١٩٧٣) اعتنق أكثر من خمسمائة مسلم جديد الإسلام حديثا، وبدأوا ببناء مسجد خاص بهم حينما رأوا اختلاف المسلمين. ويستطرد الشيخ الصواف بقوله: (الذى سررت له هو توفيق الله لنا فى كسر طوق من العزلة التى كان عليها هؤلاء الإخوة، وهم أهل البلاد وأحق الناس بالرعاية والعناية والاهتمام، فقد أدخلتهم فى المصالحة العامة

وأحضـرتهم فى كل اجتمـاع، وأوصيت بهم جمـيع الأطراف، وقلت لهم: إن بقاء الإسلام هنا رهن ببقاء هؤلاء، والعناية بهم وتكثـير عددهم وما أدراكم يا أهل مالى وأهل السنغال ونيـجيريا، أن يـأتى غدا حاكم عنصـرى فيخـرجكم جميـعا من هنا خاصة الآن وقـد دب دبيب العنصرية إلى أفريقـيا، وقد أخرجـتم جميعـا من زائير بتهمة تهريب الألماس وصودرت أموالكم فاتقوا الله فى هؤلاء، وأكثروا الصلة فيهم، ولا تتركـوهم وحدهم، وأتموا بناء مـسجدهم، وسـارعوا إلى كسب قـلوبهم، فهم خميرة الإسلام فى هذه البلاد، وتأثيرهم على أبناء وطنهم أكثر من تأثيركم، والناس والحمد لله مقـبلون عليهم. . ولقد استجاب الإخوة وأيدوا ما قلت. جـزاهم الله خيرا، ووعدوا بأنهم سيفعلون أكثر من هذا بإذن الله).

المساجد:

تنتشر المساجد فى معظم مدن الكونغو برازافيل، غير أنها متواضعة المبانى، وقد نشطت كل جالية مسلمة مـهاجرة فى بناء المساجد فى مناطق تجمعها، وبنى أول مسـجد فى العاصمة فى سنة ١٩١٠م. وبالعاصمة عدة مساجد تضم بعض المدارس القرآنيـة وبها مركز إسلامى. وعدد مساجد برازافيل ٩ مساجد، وفى مدينة بوانت نوار ٤ مساجد، وأنشئ بها مركز إسلامى فى سنة ١٩٨٢م بجهود ذاتيـة، وبها مدرسة يشرف عليـها بعض المدرسين لتعليم القرآن الكريم، وفى مـدينة لبومو مسجدان ومدرسة إسلامية قرآنيـة، وهناك مساجد فى المدن الأخرى. وفى برازافيل مشروع مجمع إسلامى منذ ١٩٨٥م. يضم مسجدا ومدرسة ومكتبة ومستوصفا وبيتا للضيافة.

الهيئات الإسلامية:

معظم الهيئات الإسـلامية فى مدينة برازافيل، الجمعية الإسلامـية لمسجد الكونغو، واللجنة الإسلامية، كما شكلت لجان تشرف على المساجد وهى بمثابة جمعيات مصغرة. وفى مدينة بوانت توار، تأسست الجـمعية الإسلامـية مماثلة للتى فى مدينة لبـومو، كما أن لرابطة العـالم الإسلامى مكتب فى برازافيل.

التعليم الإسلامى:

التعليم الإسلامى فى الكونغو يعـانى من التخبط من حيث المناهج والمراحل والمدرسين وهو فى حاجة إلى تطوير. ولابد من استحداث مراحل متوسطة وثانوية، ومناهج متفق عليها، وتوفير الكتاب المدرسى.

ويمارس التعليم الإسلامى على شكل مدارس قرآنية ملحقة بالمساجد، فهناك مدرسة ملحقة بالمركز الإسلامى فى برازافيل ويقوم بالتعليم فيها مدرسون من مالى، والسنغال، وتشاد. وهناك مدرسة ملحقة بالمركز الإسلامى فى بوانت نوار، ومدرسة أخرى فى مدينة لبومو.

متطلبات:

١- إزالة الخلافات بين الجماعات الإسلامية الكونغولية والمهاجرة وتوحيد الصف.

٢- إنشاء مدارس إسلامية متوسطة وثانوية فى المدن الثلاث، برازافيل، وبوانت نوار، ولبومو.

٣- تنشيط الدعوة الإسلامية وتنقية الإسلام من الخرافات.

٤- إرسال بعض المدرسين الذين يجيدون الفرنسية، وتخصيص منح دراسية للطلاب الكونغوليين.

٥- توفير الكتب الإسلامية باللغة العربية.

مصدر المادة:

كتاب: الإسلام والمسلمون في وسط أفريقيا

تأليف: أ.د. نوال عبدالعزيز عبدالراضي